تطور الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية عبر العصور
(دراسة آثرية معمارية فنية)

م.د.محمد صالح عبد الصاحب/ جامعة سومر
drmohammedalnashi@gmail.com

الملخص:

تُعد الأنماط الزخرفية جزءًا أساسيًا من الفن الإسلامي، حيث تعكس القيم والمفاهيم الثقافية والدينية للمجتمع الإسلامي، تتناول هذه الدراسة تطور الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية بالعراق عبر العصور المختلفة مع التركيز على الأساليب الفنية والرمزية التي اعتمدها المعماريون في العراق منذ العصر الأموي وحتى العصر العثماني، وكما تركز الدراسة على التقنيات الزخرفية المتنوعة مثل النقش الجصي، والفسيفساء، والزخارف النباتية والهندسية، وتبحث في تأثير العوامل الدينية والسياسية على هذا التطور، بالإضافة إلى ذلك تتناول الدراسة المعالم البارزة التي تمثل هذه الزخارف، مثل مسجد سامراء وقصر الخورنق ومسجد الكوفة، وتهدف إلى تحليل الروابط بين الفن والدين في العراق، وكيف أثرت الثقافة المحلية في تطور الأنماط الزخرفية خلال هذه الفترات الزمنية، والتي ساهمت في تشكيل هذه الزخارف.

الكلمات المفتاحية: (الأنماط الزخرفية، العمارة الإسلامية، العراق، التاريخ ، الهوية الثقافية).

Abstract :

Decorative patterns are an essential part of Islamic art, reflecting the cultural and religious values and concepts of the Islamic community. This study reviews the development of decorative patterns in Islamic architecture in Iraq across different eras, focusing on the artistic and symbolic styles adopted by architects in Iraq from the Umayyad era to the Ottoman era. The study also focuses on various decorative techniques such as gypsum carving, mosaics, and plant and geometric motifs, and examines the influence of religious and political factors on this development. In addition, the study addresses prominent landmarks that represent these decorations, such as the Samarra Mosque and the Khawarnaq Palace, and aims to analyze the links between art and religion in Iraq, and how local culture influenced the development of decorative patterns during these time periods, which contributed to shaping these decorations.

Keywords:
(Decorative patterns, Islamic architecture, Iraq, history, cultural identity).

المقدمة

تعتبر الزخرفة من العناصر الأساسية في العمارة الإسلامية، حيث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة الإسلامية، وقد تنوعت أنماطها وفقًا للفترات التاريخية والعوامل الدينية والسياسية السائدة في كل عصر، ومن السمات المميزة للعمارة الإسلامية هو استخدام الأنماط الزخرفية الفريدة والمعقدة لتزيين المباني وتعزيز الفضاءات المعمارية، يعود تاريخ الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية الى عصور مختلفة، وتشكل عنصرًا حيويًا في تشكيل معالم الهوية المعمارية للمنطقة، ومن خلال دراسة العمارة الإسلامية العراقية، يمكننا ملاحظة تطور هذه الأنماط الزخرفية التي تعكس التنوع الثقافي والروحي في المجتمع العراقي، والزخارف في العمارة الإسلامية وسيلة فنية متكاملة تجمع بين الجمال والعمق الروحي، وتتنوع هذه الأنماط الزخرفية لتشمل مجموعة واسعة من العناصر، مثل الخطوط العربية الرائعة، والنقوش المعقدة، والأزرار الزخرفية، والأنماط الهندسية المذهلة التي ساهمت في تزيين المساجد والقصور والمدارس، وتميزت الزخارف الإسلامية خاصة في العراق، بتنوعها وتعقيدها حيث شملت الأنماط النباتية والهندسية والكتابية التي تحمل دلالات رمزية ودينية. وتأثرت هذه الزخارف بالعمارة الفارسية والرومانية والبيزنطية، وعكست ذوقًا فنيًا رفيعًا شكل مصدر إلهام للمهندسين المعماريين والفنانين عبر العصور.

اما العمارة الإسلامية في العراق تتميز بطابع فريد مستمد من الأنماط الزخرفية المتنوعة حيث تتداخل الخصائص الجغرافية، والتاريخية، والثقافية للمنطقة لتكوين هوية معمارية متميزة تعكس هذه الأنماط الزخرفية قيم ومفاهيم الفن الإسلامي، مثل التناغم والجمال والإبداع، التي جسدت العبقرية الهندسية للمعماريين الذين ساهموا في تشكيل هذا التراث الثقافي الغني.

مشكلة البحث

تتمثل إشكالية البحث في قلة الدراسات التي تركز على توثيق تطور الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية بالعراق بدقة، فضلاً عن التحديات التي تواجه المواقع الأثرية التي تحتوي على هذه الزخارف، مثل التدمير والنهب والإهمال وعمليات الترميم.

اهداف البحث

1- دراسة تطور الانماط الزخرفية في العمارة الاسلامية العراقية عبر العصور المختلفة
2- تحليل تأثير العوامل السياسية والدينية في تشكيل الانماط الزخرفية الاسلامية العراقية.
3- استعراض تقنيات الزخرفة المستخدمة في مختلف العصور.
4- تسليط الضوء على العلاقات الاجتماعية والثقافية التي اثرت في تطور الزخارف.

اهمية البحث

تتميز هذه الدراسة بأهمية كبيرة لأنها تستعرض تطور الأنماط الزخرفية في العراق، والتي تُعتبر جزءاً أساسياً من التراث الثقافي لهذا البلد. تتسم العمارة الإسلامية العراقية بتنوعها الزخرفي الذي يعكس التعبير الفني والروحي للمجتمع الإسلامي عبر العصور كما تسهم هذه الدراسة في تعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على الموروث الفني والثقافي في العراق، لضمان استمراره للأجيال القادمة.

المبحث الأول

الزخارف المعمارية في العمارة الإسلامية

أولاً: تعريف انماط الزخرفة :

الزخرفة تُعتبر من مجالات الفنون التي تستكشف فلسفة التجريد، النسب، التناسب، التكوين، الفراغ، الكتلة، اللون، والخط يمكن أن تتكون الزخرفة من وحدات هندسية أو وحدات طبيعية مثل النباتات، الكائنات البشرية، والحيوانات، التي تم تحويلها إلى أشكال تجريدية، تتيح الزخرفة للفنان التعبير عن خياله وإحساسه وإبداعه، حتى تم وضع قواعد وأصول لها، وقد عرّف ابن منظور الزخرفة في كتابه "لسان العرب" بأنها الزينة، حيث قال إن كل زينة تُعتبر زخرفاً، مشبهاً إياها بشيء مزور، وموضحاً أن الزخرفة لغة تعني الزينة وكمال حسن الشيء[1]وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[2]، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿ حتى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾[3]. تتشكل الزينة من تحويل الأشكال النباتية والهندسية والخطية إلى وحدات متكررة تُستخدم لتزيين القباب وأبواب المساجد[4] فقد ذكرت كلمة "الزخرفة" أربع مرات في القرآن الكريم، منها في قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾[5]، وأيضاً في قوله تعالى:﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[6]، تعني كلمة "زخرف" بيتًا من ذهب، وفي السياق الاصطلاحي تشير إلى الزينة. يُعتقد أن أصل الكلمة قد يكون مرتبطًا بسقف من فضة، حيث تعني "زخرفة" أشياء تتكون من الذهب والفضة، وبالتالي فإن زخرفة البيت تعني تزيينه كما أن كلمة "زخرف" تدل على التجميل والتزيين،

---

[1] ابن منظو، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين الانصاري(ت630هـ/1232م): معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت،ج9،2011، ص123.

[2] سورة الصافات: الآية 6.

[3] سورة يونس: الآية 24.

[4] الساقي، حسين علي: الوحدات الزخرفية في جوامع مدينة بغداد وامكانية استخدامها في منهج الاشكال اليدوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد،1998،ص66.

[5] سورة الانعام: الآية 112.

[6] سورة الاسراء: الآية 93.

وهي من إبداعات الله سبحانه وتعالى على الأرض، التي دعانا للتأمل فيها والاستمتاع بجمالها، وبذلك، أصبحت "الزخرفة" مصطلحًا يعبر عن الوحدة الزخرفية المتكررة، التي تعتمد على تصميم أساسي يتخذ أشكالًا متنوعة في تكراره. يمكن أن تتداخل الوحدات أو تتقابل أو تتناظر، وقد تنعكس في نفس المسار، مما يحقق التماثل النصفي أو الكلي، ويأخذ الفنان في اعتباره التوازن والتناسب استناداً الى قواعد تصميمية محسوبة بعناية.

لقد تركت الحضارة الاسلامية شواهد مادية وأثرية في مجال العمارة والفنون التطبيقية، واحتلت مكان كامل في العالم، وكان لها من الريادة والقوة والجمال والانتشار[7]، وتعتبر رحلة الزخرفة تعبيرًا عن تطور الفنون التي تعكس الجماليات المرتبطة برؤية الإنسان لنفسه وللكون من حوله، فهي تشمل الفنون الزخرفية التي تظهر هذه الجماليات في أشكالها المادية حيث تتعلق بكل ما يضيف لمسة جمالية للعمائر أو يزين التحف المنقولة، مثل الخزف، والأقمشة، والسجاد، والخشب، وحفر العاج، والزجاج، والمعادن، والجلود، والورق من خط وتذهيب والتجليد[8].

وبدأت رحلة الزخرفة مع الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ كان يسعى لتزيين جدران كهوفه بأنماط وزخارف متنوعة وألوان مختلفة، وقد استمر هذا الاهتمام عبر العصور، رغم تغير وسائل الزخرفة في تلك الفترات، كان الإنسان يقوم بتصوير الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في بيئته (انظر الشكل(رقم 1،2، 3)، ومن الممكن أن تكون بعض هذه الحيوانات والنباتات قد انقرضت بعد فترة من الزمن، مما يتيح لنا تأريخ النقوش أو الصور بناءً على الفترة الزمنية التي عاشت فيها تلك الكائنات[9].

ثانياً: أنواع الزخارف الفنية في العمارة الاسلامية:

تعتبر الزخارف جزءًا محوريًا في العمارة الإسلامية بالعراق، حيث تطورت عبر العصور لتلبية الاحتياجات الدينية والفنية، مما يعكس في الوقت نفسه الهوية الثقافية والإبداع الفني السائد في مختلف الفترات التاريخية تختلف تقنيات الزخرفة في العمارة الإسلامية العراقية باختلاف العصور، فجوهر الزخرفة هو الزينة أو النقوش التي تُظهر أسلوبًا فنيًا يختلف من فنان إلى آخر ومن عنصر إلى آخر، وغالبًا ما تُطبق هذه الزخارف على الجدران[10]، مما يجعلها من العناصر البارزة في الثقافة الإنسانية التي تعكس الفروق الجمالية والدلالات الثقافية المتنوعة بين المجتمعات كل ثقافة تتميز بتوجه فني خاص يستند إلى بيئتها وتاريخها ومعتقداتها على سبيل المثال، تعكس الزخارف الإسلامية روحانية عميقة واهتمامًا بالتفاصيل، حيث

[7] إبراهيم، عبير ابراهيم عبد الحميد، وآخرون: استحداث تصاميم جديدة من زخارف العصر العثماني باستخدام برنامج معالجة الصور لإثراء مكلات الملابس،ع33، مجلة بحوث التربية النوعية،2014، ص909-943.

[8] الباشا، حسن: موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية،5ج، اوراق شرقية، لبنان،1999،ص299.

[9] صالح، ياسمين ياسين: الزخرفة نشأتها وتطورها في الفن العراقي القديم(في ضوء نماذج منتخبة)، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل،ع2013،12، ص 183-193.

[10] الجناني، كاظم: الزخارف الهندسية الاسلامية، مج سومر، بغداد،ج1-2، ع34، 1978، ص43، حواس، سؤدد مشعان: الرمز في الزخرفة للعمارة الاسلامية، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، مج 25،ع2019،104، ص 742-711.

تنوعت بين النقوش الجصية، والفسيفساء، والزخارف النباتية والهندسية، والزخارف الكتابية، وكل منها يحمل دلالات خاصة تتراوح بين الجمالية الروحية والوظيفية[11] مما تُظهر هذه الفروق الجمالية أهمية الزخارف كوسيلة للتعبير الثقافي، حيث يتجلى تنوع الأساليب الفنية في التعبير عن المعتقدات والقيم، مما يُثري الفهم الإنساني للعالم وتاريخه. إن دراسة هذه الفروق ليست مجرد اهتمام بالفن، بل هي نافذة لفهم العمق الثقافي والهوية التي تشكل المجتمعات عبر العصور، وفي هذا السياق، نسلط الضوء على أبرز التقنيات الزخرفية التي ساهمت في تشكيل معالم العمارة الإسلامية في العراق.

1- النقوش الجصية

تعد النقوش الجصية واحدة من أقدم وأهم تقنيات الزخرفة في العمارة الإسلامية بالعراق، لاسيما خلال العصر العباسي وما بعده، وقد تم استخدام الجص بشكل واسع لتزيين الجدران والأعمدة والأسقف في المساجد والقصور، وذلك بفضل سهولة تشكيله ومرونته في نقل التفاصيل الدقيقة والمعقدة، كما هو الحال في جامع سامراء الكبير[12]، ويُعتبر هذا المعلم من أبرز المعالم العباسية، حيث يمكن ملاحظة الدقة الفائقة في النقوش الجصية التي تزين الجدران والأقواس استخدم الفنانون العراقيون تقنيات متقدمة في النقش الجصي لتشكيل الزخارف الهندسية المعقدة، مثل الدوائر والأشكال المربعة، إلى جانب الزخارف النباتية التي تتبع غالبًا نمطًا معينًا من التكرار.[13](انظر الشكل(رقم 4).

2- الزخارف النباتية(التوريق) :

تتميز الزخارف النباتية في العمارة الإسلامية بتجسيدها الرمزي للطبيعة والحياة، وتعكس بشكل واضح التأثر بالبيئة المحيطة حيث أبدع الفنان المسلم في استخدام التشكيلات النباتية، مثل الأزهار والأشجار والأوراق المتشابكة، لتزيين أعماله الفنية، سواء كانت تحفًا أو مباني، وقد قام الفنان بتعديل وتجريد العناصر المستخدمة من أشكالها الطبيعية، مما يعكس رغبته في ملء المساحات وتجنب الفراغ ازداد استخدام هذه الزخارف منذ القرن التاسع الميلادي، وبلغت أوجها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[14] كما في قبة الصخرة بالقدس تتسم بتنوع الاشكال النباتية والتي تتداخل مع النصوص القرآنية(انظر الشكل (رقم 5).

اهتم المسلمون بالفنون الزخرفية منذ وقت مبكر، حيث استخدموها لتزيين العمائر الدينية والمدنية مثل المساجد والقصور، وفي إطار حضارة بلاد الرافدين، نجد العديد من الآثار مثل الجداريات في المدرسة المستنصرية(انظر الشكل(رقم6)، التي

---

[11] قراغوزلو، وآخرون: تصنيف الزخرفة الكتابية فى مرقد الإمام الرضا (عليه السلام) وفق نمط البنية– المحتوى، آستان هنر، ج2019،2، ص 38–45.

[12] الجامع يقع في مدينة سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة على مسافة 120 كم ، والمسجد بناه المعتصم عام 221هـ/836م وانشا حوله الاسواق والدور والقطائع وبقي هذا المسجد حتى عهد المتوكل الذي ضاق بالمصلين للاستزادة راجع محمد، غازي رجب: العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق، كلية الآداب، جامعة بغداد،1989،ص141.

[13] Hameed,Abdul Aziz, Some Aspect in the Evolution of Samara Stucco Ornament,1965,p21.

[14] حواس، سؤدد مشعان: الرمز في الزخرفة للعمارة الاسلامية، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، مج 25،ع104،2019، ص 711–742.

تعكس تأثير الطبيعة وتوفر لنا مجموعة غنية من الأفكار الزخرفية التي قدمها العراقيون القدماء، وقد أسست المبادئ الأساسية للتفكير الفني الزخرفي منذ ذلك الحين، حيث نلاحظ ظهور فكرة التجريد الزخرفي من خلال التحوير الزخرفي الذي يتولى تنظيم وتنسيق إجراء المدرسة المستنصرية[15] تتضمن مفردات ووحدات الزخرفة الإسلامية خيالاً خصباً، إلا أنها لم تغفل عن الالتزام بقواعد الطبيعة مثل التوازن والتقابل والتماثل، وهي القواعد التي تنظم فن الأرابسك،[16] تميزت معظم أنواع التصاميم الزخرفية النباتية بالتكرار، وعلى الرغم من أن الفنانين المسلمين قد أبدعوا في تقليد الخزف الصيني وزخارفه بشكل غير مسبوق، إلا أننا نلاحظ في الحقبة العثمانية عودة إلى الطبيعة من خلال تزيين الأواني الخزفية بأشجار السرو وأزهار القرنفل والياسمين[17]، كما قاموا بتلوين الأواني بألوان مفضلة مثل الزيتوني والفيروزي والأرجواني، وذلك لتلبية الأهداف الجمالية للمصممين والمتلقين، وهذه النتاجات تحمل شفرات ومعاني ورموزاً تشكل أداة للتواصل وفق قواعد معينة[18] اما من حيث الرمزية فالزخارف النباتية تمثيلاً للخلود والخصوبة والنمو المستمر، وتعكس العلاقة بين الانسان والطبيعة كما تمثل الحياة التي ابدعها الله في الكون.

3– الزخارف الكتابية:

احدى السمات البارز في العمارة الاسلامية، خاصة في المباني الدينية، فقد استخدم المسلمون الخط كعنصر زخرفي، حيث كان الخط العربي في البداية وسيلة للعلم، ثم تطور ليصبح رمزًا للجمال ينبض بالحياة ويجسد السحر، وما زال هذا الفن ينمو ويتطور ويتنوع، حتى تم إدخال تحويرات جزئية على حروفه المفردة والمركبة مما اعتبر نوعًا من الزخرفة، وقد بلغت أنواع الخطوط في العصر العباسي، بفضل التقنيات المتقدمة، نحو ثمانين نوعًا أو أكثر، وذلك بفضل تأثير السلجوقي والمغولي، ويعتبر هذا بالطبع ترفًا فنيًا، حيث أبدع الفنان في تنفيذ العناصر الزخرفية إلى درجة أصبحت فيها أسطر الكتابة جزءًا من تصميم البناء وزخارفه الرئيسية الذي جعلها عنصرًا من عناصر القيم الجمالية وأحد المقومات الأساسية للعمارة الاسلامية[19]، وتم استخدام الكتابة العربية لكتابة آيات قرآنية او ادعية او اسماء الله الحسنى، وهي تعتبر من اسس الزخرفة في العمارة الاسلامية، كما في مرقد الامام علي (عليه السلام)في مدينة النجف تظهر الزخارف الكتابية المكتوبة بخط الكوفي بتنسيق فني مميز، وغالبًا ما كانت هذه الكتابات محاطة

---

[15] المدرسة تأسست بأمر الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور المعروف بالمستنصر بالله شيدها سنة622هـ/1662م. داود، عبد الرضا : الاسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية، رسالة ماجستير غير منشور،كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد،1989، ص24.

[16] الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع منثنيه ومتشابكة ومتتابعة وفيها موضوعات زخرفية مهذبة (stylise)ترمز الى التوريقات والزهور وتسمى احيانا بالمت او نصف بالمت، وقد بدا ظهور زخارف في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حينما زينت ابنية سامراء في العراق بزخارف جصية، حسن، محمد زكي: الفنون الاسلامية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1948، ص250.

[17] عفيفي، نها سيد محمد: مورفولوجيا الزخرفة النباتية وأساليب التصميم التطبيقي، مجلة الفنون والعلوم التطبيقية، القاهرة، جامعة دمياط،2018، ص51– 64.

[18] حواس، سؤدد مشعان: الرمز في الزخرفة للعمارة الاسلامية، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، مج 25،ع104، 2019، ص 711–742.

[19] حواس، سؤدد مشعان: الرمز في الزخرفة للعمارة الاسلامية،ص711–742.

بزخارف هندسية أو نباتية، مما يعزز الجمال البصري، ويعكس الروحانية التي تتناغم مع الطابع الديني للمباني(انظر الشكل (رقم 7) فلقد أثر الخط الكوفي بشكل كبير على العمارة والفنون الإسلامية حيث كان له الريادة حتى العصر العباسي حين بدأ الخط النسخ ومشتقاته في التنافس على الصدارة الفنية، ومن أبرز أشكال الخطوط، الخط الكوفي البسيط الذي يفتقر إلى الزخرفة، والكوفي المورق الذي يتزين بزخارف نباتية على خلفية معينة، وبلغ اوج عظمته ايام الفاطميين وسمي التوريق الفاطمي لاعتماده على التزيين التوريقي كما عرف في العراق وسوريا وايران حيث لعب دوراً مهماً في زخرفة الكتابة[20]، واما الخط الكوفي المزهر [21] الذي تتفرع فيه حروفه إلى فروع نباتية تحمل أزهارًا، واما الكوفي المضفر الذي تتداخل فيه حروف الألف واللام بشكل يشبه الضفيرة تتميز أنواع الخطوط الأخرى مثل النسخ والثلث بإبداع الخطاطين، حيث أصبحت تمتزج بالأشكال النباتية والحيوانية، أما الخط المثني أو الكتابة المنعكسة، التي يمكن قراءتها في اتجاهين، فهي نوع من الخط يعكس مهارة وعبقرية الخطاط حيث يقوم بكتابة العبارة الواحدة مرتين، مما يتيح قراءتها من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، وبدأت الزخارف بالظهور على الصفحات المكتوبة في المصاحف منذ عصر متقدم وكان مجالها اولاً رؤوس السور والفواصل بين الآيات وعلامات الاحزاب والاجزاء غير ان الورقتين الاولى والثانية– وفيهما فاتحة القران وبدء سورة البقرة– هما اللتان عنى بهما عناية كبيرة حتى كانتا تزدحمان بالزخارف وتلمعان بالألوان البراقة[22] ويتميز هذا النوع من الكتابة بمزج حروفها بطريقة تخلق شكلاً زخرفيًا جميلاً.[23] فالكتابة القرآنية تعتبر تجسيداً للجانب الروحي وهي وسيلة لربط الفضاء المعماري بالروحانيات والعبادات الدينية.

4– الزخارف الهندسية:

الزخارف الهندسية من أبرز أنواع الزخارف التي اعتمدها المعماريون في العمارة الإسلامية، حيث تميزت بالدقة والتنظيم الرياضي منذ العصر الأموي، بدأ الفنان المسلم في استخدام الزخارف الهندسية، وأظهر إبداعًا فريدًا لم نشهده في أي حضارة أخرى على الرغم من أن أشكالها الأساسية مستمدة من الأشكال البسيطة مثل الخطوط المستقيمة، والمربعات، والمثلثات، والدوائر المتداخلة والمتقاطعة، بالإضافة إلى الأشكال الخماسية والسداسية[24]،(انظر الشكل(رقم8)، وكان لتلك الأشكال الهندسية المختلفة، دور مهم في الزخرفة العربية إذ أصبحت أساس الأشكال الزخرفية العربية الإسلامية، ومن الامثلة على ذلك مسجد سامراء انف الذكر يحتوي على زخارف هندسية معقدة على جدرانه واسطح قبابه.

وتتميز الزخارف الهندسية في الفن الإسلامي بطابع هندسي قوي يتجلى لنا من خلال استخدام الفن المسلم لتكوينات الأطباق النجمية التي ازدانت بها سطوح العمائر والمصنوعات الفنية، حيث شاعت تشكيلات الزخرفة بالأطباق النجمية

---

[20] زايد، أحمد صبري: أجمل التكوينات الزخرفية في فن كتابة الخط الكوفي لأشهر الخطاطين قديما وحديثاً، دار الكتب العلمية،1971، ص3–7.

[21] حسن، زكي محمد : الفنون الاسلامية، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948، ص41.

[22] حسن، زكي محمد: الفنون الاسلامية، ص41-42.

[23] عبد العال، علاء الدين: النقوش الكتابية على المنارات القراخانية بآسيا الوسطى في القرن (6هـ/12م) دراسة آثارية فنية بصرية في ضوء نماذج مختارة، ع39،مجلة مركز الدراسات البردية، كلية الاثار – جامعة عين شمس،مصر ،2022، ص 879–932.

[24] حسن، زكي محمد: الفنون الاسلامية، ص33.

في مصر والشام خاصة في العصر المملوكي[25]، وفي العراق في عهد السلجوقي، وامتد أثره إلي الطراز الفني للمغرب والأندلس[26]، كما انتقلت النماذج النجمية إلي تركيا وامتدت لتطبع بصماتها علي الفنون الهندية والإيرانية[27](انظر الشكل (رقم 9).

ويري مؤرخي الفن أن زخرفة الأطباق النجمية[28]، تعكس مجموعة من المعارف والمواهب التي استلهمها الفنان المسلم من القرآن الكريم وآياته كما ورد في قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ يبدئ وَيُعِيدُ}[29]، وكأن الفنان يعكس عبر تلك الزخارف تصوره للنظام الهندسي الكوني البديع وإعجابه بدقة خلقه وجمال صنعه.[30] فهنا تشكل الزخارف الهندسية رمزاً للوحدانية الالهية والتكامل الكوني فقد اعتبرت هذه الانماط تمثيلاً للنظام الدقيق والترتيب الذي خلقه الله في جمال الكون وطبيعته.

5- الزخارف التصويرية:

لم تكن الكائنات الحية هدفًا بحد ذاتها، بل كانت وسيلة تُستخدم كوحدة في العمل الزخرفي، حيث استلهمت الفنون القديمة أشكالًا أسطورية، وقد تجلت هنا ملامح الفن الإسلامي من خلال النفور من تمثيل الكائنات الحية، وذلك نتيجة الرغبة في الابتعاد عن المظاهر الوثنية، إذ جاء الإسلام ليقضي على الوثنية المتمثلة في عبادة الأشخاص والأصنام، ومع ذلك، بدأت هذه الكراهية تتلاشى تدريجيًا مع زيادة الوعي بحقائق العقيدة الإسلامية، وظهرت الرسوم الجدارية في العديد من الأعمال الفنية مثل التحف المختلفة. ومن الملاحظ أن زخارف المصاحف والمساجد ظلت خالية من العناصر البشرية والحيوانية[31].

أطلق مؤرخو الفن الأوروبيون مصطلح "الأرابيسك" على نوع محدد من الزخرفة العربية، المعروف لدى العرب بالتوريق. سواء كانت هذه الزخارف تتضمن عناصر نباتية أو كتابية أو حيوانية أو هندسية، فإن كلمة "الأرابيسك" تعبر بدقة عن هذا النوع من الزخرفة، حيث تبرز فيه ظاهرة النمو. فالتوريق يمثل في جوهره عملية النمو والتكاثر. ولا تزال كلمة "التوريق" تُستخدم في اللغة الإسبانية حتى اليوم للإشارة إلى هذه الزخرفة[32].

إن التأمل في هذه الزخرفة يكشف لنا أنها تعتمد بشكل أساسي على العناصر النباتية، مثل كرمة العنب بأغصانها الملتوية والمتداخلة بشكل متناسق وطبيعي، وقد تم العثور على شكل ورقة العنب في زخارف قبة الصخرة الشريفة في

---

[25] حسن، زكي محمد: الفنون الاسلامية، ص35.

[26] الطايش،علي احمد: الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة(في العصرين الاموي والعباسي)،ط2،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،2003،ص18.

[27] حسن،زكي محمد: الفنون الايرانية في العصر الاسلامي، مؤسسة هنداوي،2018،ص207-219.

[28] الباشا، حسن: مدخل الى الاثار الاسلامية، دار النهضة العربية،القاهرة،1979،ص460.

[29] سورة البروج: الآية : 13.

[30] شكري، اثار: الزخارف الهندسية تطبيقا على مجموعة من التحف المنقولة بعمائر وسط الدلتا خلال عصر أسرة محمد علي باشا، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، كلية الآداب، جامعة المنوفية،مج23، ع67، 2021، ص18.

[31] الغبارى، محمد الفقي وآخرون: الإفادة من المفردات الإسلامية كمدخل في صياغة تكوين اللوحة التصويرية، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ع33، 2014، ص523-543.

[32] مرزوق، محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987،ص11.

القدس، وكذلك في الجامع الأموي الكبير في دمشق، ومن خلال هذه الزخارف نلاحظ تحويرًا عن الطبيعة يتمثل في ورقة كرمة العنب، وسعف النخيل، وثمرة الرمان، وكوز الصنوبر، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الزهور، التي تم تحويلها جميعًا إلى أشكال مجردة متداخلة،(انظر الشكل (رقم 10) هذا التجريد هو هدف بحد ذاته بلا شك، فقد استلهم الفنان المسلم من القرآن الكريم أن هذا العالم المتغير والمتطور يميل نحو الزوال المحتوم، بما فيه ومن فيه، ولا يبقى إلا الله وحده، فهو الذي لا يطالعه الفناء أو الزوال لذا، لماذا يسعى الفنان المسلم إلى تخليد ما هو محكوم عليه بالزوال من خلال فنه؟ لماذا يرسم الوحدات الزخرفية كما هي في الطبيعة، رغم أن هذه الصور ستختفي يوماً ما؟ لماذا لا يعبث بصورة هذه الوحدات ويمنحها أشكالاً جديدة، ويجعل من أجزائها رسماً يتماشى مع قواعد الجمال الفني؟ إن الهدف الحقيقي من الفن هو تجميل الحياة، ولكنه يخضع هذا الخيال لقوانين التوازن والتقابل والتماثل والإشعاع، وهي جميعها الأسس التي يقوم عليها فن الزخرفة، وهكذا خرجت زخرفة التوريق من بين يديه بشكل رائع، مما يجعلنا نتوقف عندها كلما وقع نظرنا عليها[33].

ثالثاً: تاريخ تطور الأنماط الزخرفية في العمارة الاسلامية بالعراق

ظهر فن الزخرفة الإسلامية في بداية العصر الإسلامي المبكر، خلال فترة الفتوحات التي شملت مناطق متنوعة حول العالم. كان المسلمون يحرصون على تزيين الأماكن التي يفتحونها، وخاصة دور العبادة، بأساليب زخرفية فريدة، مستلهمين من الزخارف الموجودة في بلاد فارس، ويُعتبر عبد الملك بن مروان أول من اهتم بشكل خاص بفن الزخرفة الإسلامية، حيث أمر بزخرفة مسجد قبة الصخرة بعد بناء قبتها الذهبية في القدس الشريف، مشدداً على ضرورة أن تكون هذه الزخارف خالية تماماً من تصوير الأرواح، ومن ثم أصبحت قبة الصخرة رمزاً مثالياً للفن الزخرفي الإسلامي[34].

تُعد الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية عنصرًا جوهريًا من الهوية الثقافية والفنية للمجتمع العراقي، منذ العصور الإسلامية المبكرة وحتى العصر العثماني. شهدت الزخارف المعمارية في العراق تطورًا ملحوظًا تأثر بعدد من العوامل الدينية والثقافية والسياسية، كما تفاعلت مع الحضارات السابقة مثل الفرس والبيزنطيين، وقد تباينت هذه الأنماط وفقًا لاختلاف العصور والدول الحاكمة[35]، بدءًا من العصر الأموي حتى العصر العثماني.

1. الأنماط الزخرفية في العصر الأموي (661 – 750م)

[33] مرزوق، محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني، ص12، حسني، اهداب: مناظر وزخارف علبة معدنية من العصر القاجارى تضيف سمات جديدة لفن التصوير الإسلامي دراسة أثرية فنية. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ع7، 2017،ص 79-111.

[34] عبد الوهاب، خولة عبد الرزاق: انماط تصميم الزخارف المنفذة في العمارة الاسلامية، مجلة كلية التربية الأساسية، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول لنقابة الاكاديميين العراقيين،2019، ص323

[35] عبد الوهاب، خولة عبد الرزاق: انماط تصميم الزخارف المنفذة في العمارة الاسلامية، ص323.

شهد العصر الأموي في العراق بروز أولى ملامح العمارة الإسلامية التي تجمع بين التقاليد الفارسية والبيزنطية كانت الزخارف الأموية بسيطة نسبيًا مقارنة بالعصور اللاحقة، وركزت على الزخارف الهندسية البسيطة والكتابات بالخط العربي، الذي بدأ يتطور خلال هذا العصر في مسجد الكوفة[36]، المسجد الذي يقع في مدينة النجف يعتبر من أقدم المساجد الإسلامية، تتميز زخارفه الكتابية باستخدام الخط الكوفي الذي كان من أبرز سمات هذا العصر[37].

2. الانماط الزخرفية العصر العباسي (750 – 1258م)

في العصر العباسي، الذي تميز بظهور الخلافة العباسية، شهدت الزخارف المعمارية تطورًا وتعقيدًا ملحوظين تأثرت العمارة العباسية بالفن الفارسي والبيزنطي، مما أسفر عن ظهور زخارف هندسية معقدة ونباتية. كما تم استخدام الفسيفساء والزخارف الجصية لتزيين جدران القصور والمساجد[38]، بالإضافة إلى الاستخدام الواسع للخط الكوفي في تزيين جدران المساجد، مثل جامع سامراء كانت الزخارف الكتابية في تلك الفترة تتضمن آيات قرآنية وأحاديث نبوية، مما يعكس تعزيز العلاقة بين الدين والسلطة[39].

4. الانماط الزخرفية في العصر السلجوقي (1037 – 1194م)

خلال العصر السلجوقي، تميزت العمارة العراقية بتوظيف الزخارف التقليدية مع إدخال بعض الابتكارات. تم استخدام الزخارف الجصية والفسيفساء بتفاصيل أكثر دقة، وبرزت الأنماط الهندسية بشكل معقد في المساجد والقصور، كما هو الحال في جامع الملوية وقصر الخورنق[40] ، والذي يقع في ظاهر الحيرة على مسافة كيلو متر ونصف يمكن ملاحظة تطور الزخارف التي تمزج بين التأثيرات الفارسية و الإسلامية.

5. الانماط الزخرفية في العصر العثماني (1517 – 1918م)

كان للفن العثماني تأثير كبير على الزخارف المعمارية في العراق، حيث شهدت هذه الفترة إدخال عناصر زخرفية متنوعة ومفصلة تم استخدام الزخارف النباتية ذات الطابع العثماني، التي تتميز بتعقيدها وخطوطها المنحنية، لتزيين

---

[36] الدليمي، عبد الكريم جاسم محمد: القيم الجمالية للزخرفة الاسلامية في جامع الكوفة الكبير، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج17،ع2، 2009، ص492–510.

[37] الدليمي، عبد الكريم جاسم محمد: القيم الجمالية للزخرفة الاسلامية في جامع الكوفة الكبير، ص492–510.

[38] عبد الله، عبد الملك ناظم: خصائص العمارة الاسلامية في عصر الخلافة العباسية المدرسة المستنصرية انموذجاً، مجلة اكليل للدراسات الانسانية، مج 5، ع 18، 2024،ص 285– 305.

[39] كاظم، رشا ناجي: جمالية التكوين الفني للزخرفة الاسلامية(دراسة مقارنة)، مجلة دراسات تربوية،ع66،2024، ص 4–19.

[40] صالح، فرحان، خلود عبد خلف ، نادية محمود: القصور في العراق قبل الاسلام، مجلة اكليل للدراسات الانسانية، مج5، ع 18، 2024، ص 182.

المساجد والقصور، وقد جمعت هذه الزخارف بين التقاليد البيزنطية والفارسية، مع إضافة لمسات من الزخارف التركية التي كانت سائدة في ذلك العصر [41].

لقد شهدت الزخارف في العمارة الإسلامية العراقية تطورًا ملحوظًا عبر العصور، حيث بدأت من الأنماط البسيطة في العصر الأموي وتقدمت إلى الأنماط المعقدة في العصور العباسية والعثمانية، ومع مرور الزمن، تجسدت هذه الزخارف في العمارة العراقية كمزيج فني يعكس التأثيرات الثقافية المتنوعة، مما جعلها جزءًا أساسيًا من الهوية المعمارية في المنطقة فقد تأثر الفن العثماني بفنون الشرق الأوسط والمغرب العربي، حيث برزت الزخارف الكتابية بشكل لافت، متضمنة آيات قرآنية بخط النسخ والكوفي كما زينت الزخارف الخشبية والجصية الأسطح المعمارية للمساجد العثمانية، وتم ابتكار تقنيات جديدة في النقش والتوريق.

المبحث الثاني

الدور الديني والثقافي للزخارف في العمارة الاسلامية العراقية عبر العصور

اولاً– الدور الديني والثقافي للزخارف في العمارة الإسلامية

تعتبر الأنماط الزخرفية جزءًا أساسيًا من العمارة الإسلامية في العراق، حيث تتداخل الأبعاد الدينية والثقافية في تشكيلاتها وأشكالها عبر العصور اذ لم تكن الزخارف مجرد عناصر جمالية بل كانت تحمل رموزًا دينية وثقافية عميقة تعكس مفاهيم إيمانية واجتماعية وفكرية. كما تم الإشارة إليه سابقًا، شهدت الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية تطورًا ملحوظًا على مر العصور، بدءًا من العصر الأموي، مرورًا بالعصر العباسي، وصولًا إلى العصر العثماني مما يعكس هذا التطور التفاعل بين الدين والهوية الثقافية في مختلف الفترات الزمنية.

1. الدور الديني للزخارف

من الابداع الفني والابتكار التقني التي وصل اليه فنانو العمارة الاسلامية في العراق كما يلي:

أ. الزخارف في المعابد والمساجد

تعتبر الزخارف في العمارة الإسلامية العراقية ذات أهمية دينية كبيرة، خاصة في بناء المساجد. كانت الزخارف تُستخدم بشكل رئيسي لتجميل وتزيين الأماكن المقدسة، مثل المحاريب والمآذن، والهدف الأساسي من هذه الزخارف هو إبراز جمال المكان وتعزيز الروحانية، مما يجعل البيئة أكثر ملاءمة للعبادة. يتماشى استخدام الزخارف مع تعاليم الإسلام التي تحظر التصوير المباشر للكائنات الحية (مثل الحيوانات والبشر) في الأعمال الفنية كما تم استخدام الخط العربي بشكل

[41] الاعظمي، خالد: زخارف العمارة العربية الاسلامية في العراق، 1980، ص88، القصيري، اعتماد يوسف: مساجد بغداد التي بنت في العصر العثماني، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2018، ص 645.

واسع في المساجد، حيث كانت الآيات القرآنية تزين جدرانها ومآذنها، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين الزخرفة والإيمان على سبيل المثال، كان الخط الكوفي هو الأكثر شيوعًا في العصر العباسي، حيث استخدم لتزيين الأسطح العمودية داخل المساجد[42].

أما الزخارف الهندسية، مثل الأشكال المتكررة كالنجمات والمربعات، فهي تعكس التناغم الكوني ووحدة الله (جل جلاله)، وتمثل الجمال الإلهي، بينما الزخارف النباتية المجردة، مثل الورود والأشجار، كانت تُستخدم للتعبير عن جمال الخلق دون تصوير الكائنات الحية، مما يتماشى مع المبادئ الإسلامية[43].

ب. الأبعاد الروحية والتأملية للزخارف

كانت الزخارف تُستخدم لتوجيه الزوار في المساجد والأماكن المقدسة نحو التأمل الروحي. على سبيل المثال، في المراقد المقدسة كمرقد الامامين الكاظم والجواد (عليهم السلام) في مدينة بغداد، كانت الأنماط الزخرفية المرتبطة بالأشكال الهندسية المتكررة تعكس مفهوم التكرار اللانهائي، مما يسهم في خلق حالة من السكينة الروحية للمصلين[44].

ج. الزخارف في القباب والمآذن

تعتبر القباب والمآذن من العناصر الأساسية في العمارة الإسلامية، وغالبًا ما كانت هذه المعالم تُزخرف بزخارف فنية تحمل طابعًا دينيًا، على سبيل المثال في مرقد الامامين الحسين واخيه ابا الفضل العباس(عليهم السلام) كانت هذه الزخارف تعكس المفاهيم الإسلامية المتعلقة بالسموات العليا والوجود الإلهي، حيث كانت الزخارف النباتية والهندسية ترتبط بشكل خاص بعالم ما وراء الطبيعة، مما يجسد العلاقة بين الإنسان والمقدس[45].

2. الدور الثقافي للزخارف

أ. الزخارف كوسيلة للهوية الثقافية

خلال العصور الإسلامية، كانت الأنماط الزخرفية تعكس الهوية الثقافية لكل فترة زمنية أو منطقة في العراق، حيث تجسد التأثيرات الفارسية والبيزنطية والهندية، مما يظهر التنوع الثقافي الذي أثرى الفنون الإسلامية بالمنطقة في العصر

---

[42] عبد الوهاب، خولة عبد الرزاق: انماط تصميم الزخارف المنفذة في العمارة الاسلامية، مجلة كلية التربية الاساسية، وقائع المؤتمر العلمي الاول لنقابة الاكاديميين العراقيين،2019، ص313–340

[43] عبد الوهاب، خولة عبد الرزاق: انماط تصميم الزخارف المنفذة في العمارة الاسلامية، ص313–340.

[44] العتبة الحسينة المقدسة: الروحي والجمالي في بنائية التكوينات الزخرفية، مقال منشور 2021/11/20، اطلعت عليه بتاريخ 2024/11/14.

[45] عبد الوهاب، خولة عبد الرزاق: انماط تصميم الزخارف المنفذة في العمارة الاسلامية، مجلة كلية التربية الاساسية، وقائع المؤتمر العلمي الاول لنقابة الاكاديميين العراقيين،2019، ص313–340.

العباسي كانت الزخارف الهندسية المعقدة والفن الكتابي تعكس تأثير الحضارة الفارسية، حيث تم استخدام أنماط هندسية متكررة تحمل دلالات فلسفية أما الزخارف النباتية في المساجد، فتعكس الارتباط الوثيق بين الفن الإسلامي والتقاليد الزراعية العراقية، وفي العصر العثماني تطورت الزخارف لتشمل مجموعة متنوعة من الأساليب مثل البلاط المزخرف والزجاج المعشق، مما أضاف تأثيرات من الثقافة التركية والفارسية، مما أظهر تنوعًا ثقافيًا كبيرًا في العمارة العراقية العثمانية[46].

ب. الزخارف كأداة للسلطة والسياسة

كانت الزخارف تعكس أيضًا القوة والسلطة في العديد من المساجد والقصور، مما يعكس رغبة الحكام في إظهار هيبتهم وقوتهم على سبيل المثال، تبرز قباب المساجد الكبرى في بغداد هيمنة الخلفاء العباسيين وارتباطهم بالسلطة الإلهية[47].

ج. الزخارف في الحياة اليومية

إلى جانب الاستخدام الديني، لعبت الزخارف دورًا مهمًا في الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية فقد تم استخدام الأنماط الزخرفية لتزيين الأسواق، والخانات، والمنازل، مما عكس طابعًا ثقافيًا مشتركًا وساهم في تعزيز مفهوم الجمال في الحياة اليومية، وفيما يتعلق بالزخارف في العمارة الإسلامية العراقية، فهي جزء من فن شامل يربط بين الدين والفن، حيث اتسم الفن الإسلامي بالوحدة بين الشكل والمضمون اذ لم تكن الزخرفة مجرد عنصر تزييني، بل كانت تعبيرًا عن مفهوم الجمال الكوني من خلال الفنون الزخرفية، وقد عكست العمارة العراقية الفهم الإسلامي للعالم، مما ساهم في خلق تجربة روحانية وفكرية للزوار، ومن الأمثلة على الزخارف الدينية والثقافية في العمارة الإسلامية العراقية:

1- **جامع سامراء:** يعتبر جامع سامراء نموذجًا بارزًا للزخارف الدينية في العمارة العباسية، حيث تم استخدام الزخارف الهندسية المتكررة والأشكال التجريدية في تصميمه، مما يعكس المفهوم الإسلامي للوحدة الإلهية[48].
2- **المدرسة المستنصرية في بغداد:** مثال آخر على الزخارف الدينية والثقافية في العمارة الإسلامية بالعراق هو تزيين جدران المدرسة بالزخارف النباتية والهندسية، مما يعكس تأثير الثقافة العباسية والمغولية والعثمانية [49].
3- **مسجد الكوفة في النجف:** يُعتبر هذا المسجد من أقدم المساجد في العراق، ويتميز بزخارفه الكتابية البسيطة والأنماط الهندسية التي كانت شائعة في العصور الأموية والعباسية[50].

---

[46] مرزوق، محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987، ص17.

[47] عليكو، كديانو: فن العمارة في العراق– تراث وصروح تاريخية، مقال منشور، 2021، اطلعت عليه بتاريخ2024/11/12.

[48] الياسري، صبا قيس: الزخارف الاسلامية: مخطط طرز زخارف سامراء، مقال منشور بتاريخ 2012/12/2، اطلعت عليه بتاريخ 2024/11/14.

[49] كاظم، الطيف، منتصر صالح، احمد ابراهيم: العناصر العمارية والزخرفية للمدرسة المستنصرية في بغداد، المجلة العراقية الاكاديمية، ع2017،4، ص 262.

[50] الدليمي، عبد الكريم جاسم محمد: القيم الجمالية للزخرفة الاسلامية في جامع الكوفة الكبير، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج17، ع2، 2009، ص492–510.

تظهر الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية مزيجًا فريدًا من الدين والثقافة، حيث كانت لها أهمية كبيرة في التعبير عن المعتقدات الدينية والتقاليد الثقافية، وقد تم تجسيد مفاهيم دينية وفكرية معقدة من خلالها، كما أنها كانت وسيلة لتشكيل الهوية الثقافية والسياسية، تظل هذه الزخارف جزءًا أساسيًا من التراث المعماري العراقي، وتستمر في تقديم رؤى مهمة حول تطور الفن والثقافة في العراق الإسلامي عبر العصور..

ثانياً– دراسة العوامل الدينية والسياسية والثقافية وتأثيرها على الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية بالعراق.

تُعبر العمارة الإسلامية في العراق عن الهوية الثقافية والدينية للمجتمع، حيث تأثرت بشكل ملحوظ بالعوامل السياسية والاجتماعية التي ساهمت في تطور الزخارف المعمارية منذ الفتح الإسلامي للعراق في القرن السابع الميلادي، وقد بدأ فن العمارة والزخرفة في تشكيل هوية فنية مميزة، امتزجت بالتقاليد المحلية والأنماط الثقافية للإمبراطوريات المتعاقبة فقد لعبت التوجهات الدينية والأحداث السياسية والتأثيرات الثقافية دورًا أساسيًا في تحديد الأنماط الزخرفية التي تتماشى مع المفاهيم الدينية والسلطوية، مما انعكس بوضوح في العمارة الإسلامية العراقية عبر العصور.

1. العامل الديني على الزخارف الاسلامية في العراق

تُعتبر العقيدة الإسلامية الأساس الذي بُنيت عليه المبادئ الفنية للعمارة الإسلامية، بما في ذلك الأنماط الزخرفية التي انتشرت في العراق، ويُعتبر التوحيد والرمزية في الإسلام من العوامل الرئيسية التي أدت إلى اعتماد الزخارف غير التصويرية في الفن الإسلامي، حيث كان هناك تحفظ ديني تجاه تصوير الكائنات الحية، وهذا الأمر دفع الفنانين إلى ابتكار أنماط زخرفية هندسية ونباتية تعبر عن الكون بشكل مجرد[51].

ففي العمارة العراقية برزت الزخارف الهندسية بشكل ملحوظ، حيث تم توظيف الأشكال الهندسية الدقيقة مثل المربعات والدوائر، التي تعكس التناظر والكمال الإلهي، و يرى البعض في هذا التناظر تعبيرًا عن النظام الكوني الذي يعكس الخالق كما كانت الزخارف النباتية، مثل الأزهار والأوراق، تمثل الحياة والنماء في الفكر الإسلامي، مما جعلها عنصرًا أساسيًا في تزيين المساجد والقصور[52].

---

[51] عراقي،محمد، سالي اسماعيل، اسلام رافت: الزخارف الاسلامية وتأثيراتها الحيوية على مستخدمي الحيزات المعمارية " دراسة تطبيقية لرصد التأثيرات الحيوية لعناصر الزخرفة الاسلامية"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الاسلامية،ع4 ، 2022، ص60–77. العتبة الحسينية المقدسة : الزخارف الاسلامية جمالية الوجود ورمزية التكوين، مقال منشور،2021 ، اطلعت عليه بتاريخ 2024/11/12.

[52] البرمبلى، حسام: اثر الزخارف في التأثير على شكل المباني في العمارة الاسلامية، المؤتمر الدولي– جامعة الازهر، ص4–31.

اما الزخارف الكتابية من العناصر الزخرفية البارزة في العمارة الإسلامية العراقية، حيث تم توظيف الخط العربي لتدوين الآيات القرآنية، التي أُضيفت إلى الجدران والأعمدة، مما أضفى طابعًا روحيًا وتعليميًا على المكان[53]، حيث برزت الزخارف الكتابية بشكل واضح في مساجد العراق، ومن أبرزها مسجد الكوفة في النجف الذي يُعتبر نموذجًا مهمًا في توظيف الكتابات القرآنية كجزء من الزخرفة[54].

2. **العامل السياسي على الزخارف الاسلامية في العراق**

لعبت العوامل السياسية دورًا أساسيًا في تغيير الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية. على سبيل المثال، خلال العصر العباسي الذي بدأ في عام 750م، سعى الخلفاء العباسيون إلى تعزيز سلطتهم وزيادة هيبتهم، مما دفعهم إلى استخدام زخارف فخمة وزخارف معقدة في القصور والمساجد، وقد تجلى ذلك في استخدام الزخارف الهندسية والخطوط الكتابية، التي لم تُستخدم فقط لأغراض دينية، بل أيضًا كوسيلة لإظهار القوة والهيبة في تلك الفترة. كما تم استخدام الفسيفساء والنقوش الجصية بشكل واسع في قصور الخلفاء العباسيين[55] الأمر الذي ساعد في تعزيز الصورة السلطوية للقيادة السياسية.

وخلال العصر العثماني، كان التأثير السياسي بارزًا أيضًا في الأنماط الزخرفية المعتمدة، حيث سعت الدولة العثمانية إلى تجسيد قوتها وهيبتها من خلال الزخارف التي تمزج بين الفن البيزنطي والفن الفارسي[56]، تجلت هذه الهيمنة في إنشاء المساجد العثمانية، حيث تم استخدام الزخارف الكتابية والنباتية لتعزيز السيطرة العثمانية في العراق[57].

3. **العامل الثقافي على الزخارف الاسلامية في العراق**

تُعتبر العوامل الثقافية في العراق، مثل التراث الفارسي والبيزنطي، من العناصر الرئيسية التي أثرت في الأنماط الزخرفية للعمارة الإسلامية العراقية. فقد كان العراق مركزًا للعديد من الحضارات القديمة التي تركت آثارها على الفن المعماري على سبيل المثال، في العصر العباسي، تأثر الفن العراقي بالفن الفارسي والبيزنطي. حيث استُلهمت الزخارف التي تتضمن عناصر نباتية مثل الأشجار والأزهار من الفنون الفارسية القديمة، التي كانت تعكس العلاقة بين الإنسان والطبيعة. كما أن الأنماط الهندسية المعقدة استوحت من تقاليد الفن البيزنطي، والتي كانت تُستخدم في الفسيفساء وتصميمات الأرضيات والجدران، وفي العصر العثماني برز تأثير الفن الفارسي من خلال الزخارف التي زينت الأسطح

---

[53] عراقي،محمد ، سالي اسماعيل، اسلام رافت: الزخارف الاسلامية وتأثيراتها على مستخدمي الحيزات المعمارية، ص60–77.

[54] السامرائي، غسان علي مصطفى: الزخارف الجصية على المحاريب، نماذج مختارة من بيوت سامراء، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، ع70،2019، ص 620.

[55] الغنميين ، طاهر محمد هارون: تاثير زخارف سامراء الجصية، دار شهرزاد للنشر والتوزيع، ط1، عمان–الاردن،ص 41.

[56] عبد العال، داليا علي: الانماط الزخرفية العثمانية، مدارات تاريخية، مج 1،ع 2،2019، ص 114–127.

[57] عليكو، كديانو: فن العمارة في العراق– تراث وصروح تاريخية، 2021، ب. ص.

بالألوان الزاهية والأشكال الهندسية المتناغمة بالإضافة إلى ذلك، لعبت الفنون الشعبية في العراق دورًا مهمًا في تعزيز الزخارف التقليدية التي كانت تُستخدم في القصور والمساجد[58].

يتضح أن العوامل الدينية والسياسية والثقافية كان لها تأثير كبير في تشكيل الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية فقد تجلى التأثير الديني من خلال استخدام الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية، بينما ساهمت العوامل السياسية في تعزيز هيبة السلطة الحاكمة عبر تزيين المباني بزخارف فاخرة ومعقدة، أما التأثيرات الثقافية فقد كانت دافعًا لإدخال أنماط زخرفية مستوحاة من الفنون القديمة مثل الفن الفارسي والبيزنطي، مما أضفى على العمارة الإسلامية العراقية تنوعًا وغنى في أساليبها الزخرفية..

[58] مرزوق،محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987، ص43.

الخاتمة

من خلال دراسة تاريخ الفنون المعمارية عبر العصور المختلفة والآثار العظيمة التي خلفتها الحضارات القديمة، يتبين أن هذه الحضارات تشكل الأساس المادي للحضارة الإنسانية وتعتبر حلقة وصل في السلسلة الحضارية للإنسانية، مما يجعل من المستحيل تجاهل أي حضارة مهما كان تأثيرها، وفي هذا السياق، تُعتبر الزخارف في العمارة الإسلامية العراقية أكثر من مجرد عناصر تزيينيه، إذ كانت وسيلة للتعبير عن الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الإسلامي في العراق. ومن خلال دراسة تطور هذه الزخارف عبر العصور، يمكننا فهم تأثير العوامل السياسية والدينية والثقافية على الفن الزخرفي في مختلف الفترات الزمنية، كما تحمل هذه الزخارف قيمًا فنية وجمالية تعكس المهارات العالية للحرفيين والمهندسين الذين استخدموا تقنيات متقدمة في النقش والفن التشكيلي، وبعد استعراض تطور الأنماط الزخرفية، يمكننا تقدير القيمة الثقافية والفنية لهذا التراث المعماري، مما يبرز أهمية الحفاظ عليه وتعزيزه من خلال التوثيق الأكاديمي والترميم والصيانة المستدامة.

الاستنتاجات

1. تعتبر الحضارات القديمة الركيزة الأساسية للحضارة الإنسانية، ولا يمكن تجاهل أي حضارة مهما كان تأثيرها، لأنها تشكل حلقة متصلة في سلسلة التطور الحضاري للبشرية.
2. شهدت الأنماط الزخرفية في العمارة الإسلامية العراقية تطورًا ملحوظًا على مر العصور، حيث بدأت بالبساطة في العصر الأموي وتطورت إلى التعقيد في العصور العباسية والعثمانية.
3. كانت العوامل الدينية والسياسية تلعب دورًا رئيسيًا في تطور هذه الزخارف، حيث تعكس الهوية الدينية والثقافية للمجتمع.
4. أظهرت تقنيات الزخرفة، مثل الفسيفساء والنقش الجصي، مستوى رفيعاً من الإبداع الفني والابتكار التقني الذي حققه فنانو العمارة الإسلامية في العراق على مر العصور.
5. كانت الزخارف الكتابية في العمارة الإسلامية تتجاوز مجرد الجماليات، حيث كانت تحمل أيضًا معاني دينية وروحية، مما يعكس الارتباط العميق بين الفن والدين في الفكر الإسلامي.
6. كانت الأنماط الهندسية والنباتية الأكثر بروزًا في العمارة الإسلامية العراقية، حيث أصبحت رمزًا مميزًا لهوية الفن الزخرفي في العراق، لاسيما في المساجد والمباني العامة.

التوصيات

1. من الضروري الحفاظ على التراث الزخرفي، ويتعين بذل جهود مستمرة لحماية المعالم المعمارية التي تضم زخارف إسلامية في العراق من التدمير والإهمال. كما يمكن أن تساهم الدراسات الأثرية والفنية في تقديم حلول فعالة للحفاظ على هذا التراث الثري.

2. من المهم تعزيز الأبحاث في الفنون الزخرفية الإسلامية، خاصة تلك المرتبطة بالعمارة الإسلامية في العراق، بهدف توثيق وتفسير الأنماط الزخرفية المتنوعة واستخداماتها ضمن السياق الثقافي والديني.

3. رفع مستوى الوعي المجتمعي حول أهمية الفن الزخرفي من خلال تنظيم حملات تعليمية تستهدف المدارس والجامعات والمراكز الثقافية، بهدف توضيح كيف تشكل هذه الزخارف جزءًا من الهوية الثقافية العراقية.

4. من الضروري إنشاء برامج أكاديمية وفنية تركز على دراسة الزخرفة الإسلامية بشكل شامل في المعاهد الفنية والجامعات، بالإضافة إلى تعزيز مهارات الطلاب في تقنيات الزخرفة التقليدية.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم.**

1- إبراهيم، عبير ابراهيم عبد الحميد، وآخرون: استحداث تصاميم جديدة من زخارف العصر العثماني باستخدام برنامج معالجة الصور لإثراء مكلات الملابس،ع33، مجلة بحوث التربية النوعية،2014.

2- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين الانصاري(ت630هـ/1232م): معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت،ج9، 2011.

3- اشتيوي، جميلة عبد اللطيف صالح: العمارة الاسلامية، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج23، ع1، 2022.

4- الاعظمي، خالد: زخارف العمارة العربية الاسلامية في العراق، 1980.

5- الباشا، حسن: مدخل الى الاثار الاسلامية، دار النهضة العربية،القاهرة،1979.

6- الباشا، حسن: موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية،5ج، اوراق شرقية، لبنان،1999.

7- البرمبلى، حسام: اثر الزخارف في التاثير على شكل المباني في العمارة الاسلامية، المؤتمر الدولي- جامعة الازهر.

8- حبش، حسن قاسم: مبادى فن الزخرفة، ط1، بغداد،1984.

9- حسن، زكي محمد: الفنون الايرانية في العصر الاسلامي، مؤسسة هنداوي،2018،

10- حسن، محمد زكي: الفنون الاسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1948.

11- حسني ، اهداب: مناظر وزخارف علبة معدنية من العصر القاجارى تضيف سمات جديدة لفن التصوير الإسلامي دراسة أثرية فنية. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ع7، 2017.

12- حواس، سؤدد مشعان: الرمز في الزخرفة للعمارة الاسلامية، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، مج 25،ع2019،104.

13- داود، عبد الرضا : الاسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد،1989.

14- الدليمي، عبد الكريم جاسم محمد: القيم الجمالية للزخرفة الاسلامية في جامع الكوفة الكبير، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج17،ع2، 2009.

15- زايد، أحمد صبري: أجمل التكوينات الزخرفية في فن كتابة الخط الكوفي لأشهر الخطاطين قديما وحديثاً، دار الكتب العلمية،1971.

16- الساقي، حسين علي: الوحدات الزخرفية في جوامع مدينة بغداد وامكانية استخدامها في منهج الاشكال اليدوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 1998.

17- السامرائي، غسان علي مصطفى: الزخارف الجصية على المحاريب، نماذج مختارة من بيوت سامراء، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، ع2019،70.

18- شكري، اثار: الزخارف الهندسية تطبيقا على مجموعة من التحف المنقولة بعمائر وسط الدلتا خلال عصر أسرة محمد علي باشا، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، كلية الآداب، جامعة المنوفية،مج23،ع67، 2021.

19- صالح، فرحان، خلود عبد خلف ،نادية محمود: القصور في العراق قبل الاسلام، مجلة اكليل للدراسات الانسانية، مج5، ع 18، 2024.

20- صالح، ياسمين ياسين: الزخرفة نشأتها وتطورها في الفن العراقي القديم(في ضوء نماذج منتخبة)، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل،ع12، 2013.

21- الطايش، علي احمد: الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة(في العصرين الاموي والعباسي)،ط2،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،2003.

22- عبد العال، داليا علي: الانماط الزخرفية العثمانية، مدارات تاريخية، مج 1،ع 2019،2.

23- عبد العال، علاء الدين: النقوش الكتابية على المنارات القراخانية بآسيا الوسطى في القرن (6هـ/12م) دراسة آثارية فنية بصرية في ضوء نماذج مختارة،ع39،مجلة مركز الدراسات البردية، كلية الاثار- جامعة عين شمس،مصر،2022.
24- عبد الله، عبد الملك ناظم: خصائص العمارة الاسلامية في عصر الخلافة العباسية المدرسة المستنصرية انموذجاً، مجلة اكليل للدراسات الانسانية، مج 5، ع 18، 2024.
25- عبد الوهاب، خولة عبد الرزاق: انماط تصميم الزخارف المنفذة في العمارة الاسلامية، مجلة كلية التربية الأساسية، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول لنقابة الاكاديميين العراقيين،2019.
26- العتبة الحسينة المقدسة: الروحي والجمالي في بنائية التكوينات الزخرفية، مقال منشور 2021/11/20.
27-العتبة الحسينية المقدسة : الزخارف الاسلامية جمالية الوجود ورمزية التكوين، مقال منشور، 2021.
28- عراقي، محمد، سالي اسماعيل، اسلام رافت: الزخارف الاسلامية وتأثيراتها الحيوية على مستخدمي الحيزات المعمارية " دراسة تطبيقية لرصد التأثيرات الحيوية لعناصر الزخرفة الاسلامية"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الاسلامية،ع4 ، 2022.
29- عفيفي، نها سيد محمد: مورفولوجيا الزخرفة النباتية وأساليب التصميم التطبيقي، مجلة الفنون والعلوم التطبيقية، القاهرة، جامعة دمياط،2018.
30- عكاشة، ثروت: تاريخ الفن العراقي القديم، سومر وبابل واشور، بغداد،1968.
31- عليكو، كديانو: فن العمارة في العراق- تراث وصروح تاريخية، 2021.
32- عليكو، كديانو: فن العمارة في العراق- تراث وصروح تاريخية، مقال منشور، 2021.
33- الغبارى، محمد الفقي وآخرون : الإفادة من المفردات الإسلامية كمدخل في صياغة تكوين اللوحة التصويرية، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ع33، 2014.
34- الغنميين ، طاهر محمد هارون: تأثير زخارف سامراء الجصية، دار شهرزاد للنشر والتوزيع، ط1، عمان-الاردن.
35- القصيري، اعتماد يوسف: مساجد بغداد التي بنت في العصر العثماني، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2018.
36- كاظم ، رشا ناجي: جمالية التكوين الفني للزخرفة الاسلامية(دراسة مقارنة)، مجلة دراسات تربوية،ع2024،66، ص 4-19.
37- كاظم، الطيف، منتصر صالح، احمد ابراهيم: العناصر العمارية والزخرفية للمدرسة المستنصرية في بغداد، المجلة العراقية الاكاديمية،ع2017،4.
38- ماهر، سعاد: الفنون الاسلامية، مكتبة الاسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005،ص319-351.
39- مرزوق، محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987.
40- الياسري، صبا قيس: الزخارف الاسلامية: مخطط طرز زخارف سامراء، مقال منشور بتاريخ 2012/12/2.

المراجع الاجنبية

1- Hameed ,Abdul Aziz, Some Aspect in the Evolution of Samara Stucco Ornament,1965,p21.
2- Steele, Philip, Eyewitness Mesopotamia, New york,2007.

المواقع الالكترونية

- www.pinterest.com
- www. qudsinfo.com
- https://atlasislamica.com/mustansiriya-madrasa/
- https://www.imamali.net/
- https://shiawaves.com/arabic/
- https://ar.wikipedia.org/
- https://mk.iq/

الملاحق: الاشكال

شكل رقم (1) ثروت عكاشة، تاريخ الفن العراقي ص216

انظر الشكل رقم (2) مجموعة من اشكال الحيوانات التي تزين بوابة عشتار في بابل،

Steele,Philip,2007.p52

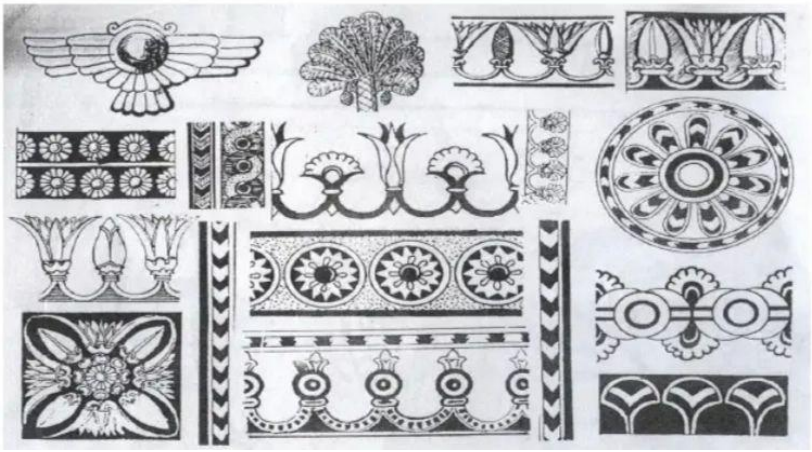

انظر الشكل رقم(3) زخارف نباتية متنوعة، قاسم حبش، ص25

انظر الشكل رقم(5) الزخارف التي تزين قبة الصخرة

www/ https://qudsinfo.com

انظر الشكل رقم(6)الزخارف التي تزين جداريات المدرسة المستنصرية

https://atlasislamica.com/mustansiriya-madrasa/

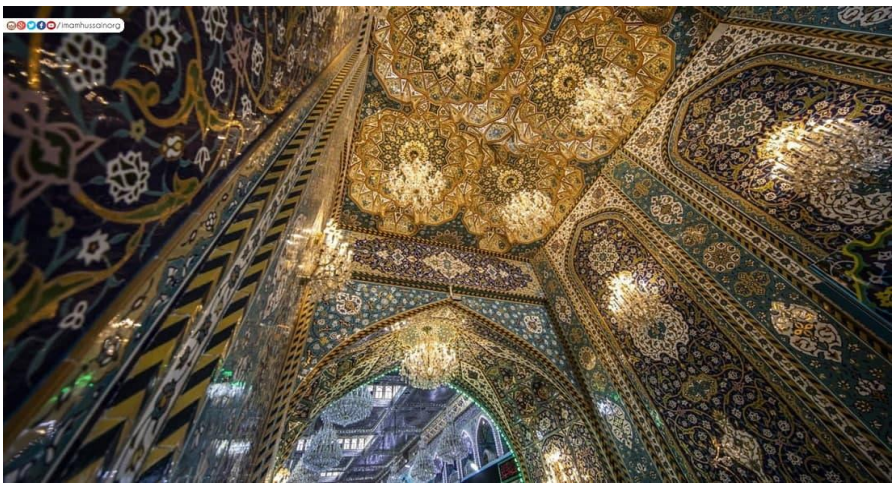

انظر الشكل رقم(8) الزخارف الهندسية في ابواب مرقد الامام الحسين (ع)

https://shiawaves.com/arabic/

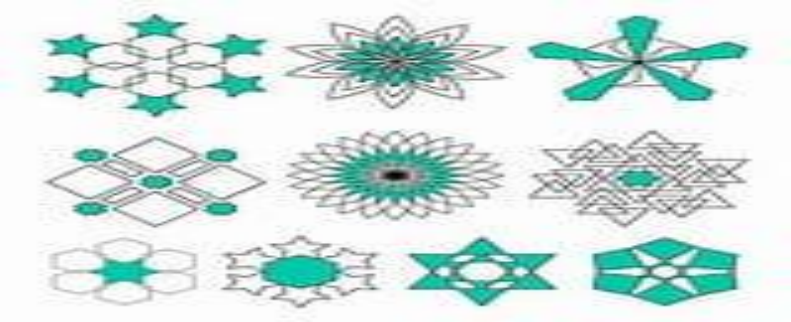

انظر الشكل رقم(9) الأطباق النجمية (أو "المثمنات النجومية"، أيضًا " المضلّعات النجمية")

https://ar.wikipedia.org/

انظر الشكل رقم (10) الزخارف النباتية في جدران مرقد العتبة العباسية

https://mk.iq/